**كيف الحد طه حسين ثم رجع**

**ومات مؤمنا**

**المراجعات الفكريه فى تاريخ الفكر الاسلامى حقيقة بارزة يشهد عليها تاريخ الافكار دينية كانت أو بشرية هذه الأفكار فسحرة فرعون قد راجعوا إيمانهم بألوهية فرعون وآمنوا برب موسى وهارون عليهما السلام والحواريون الذين نصروا المسيح عليه السلام قد راجعوا مقولات الكهنة والكتبة والفرنيسيين الذين جعلوا بيت الرب مغارة لصوص والثنيون العرب الذين طالما عبدوا الاحجار هم الذين حملوا رايات التوحيد والتنزيه الى العالمين فى نشارق الارض ومغاربها**

**وإمام الاشعرية أبو الحسين الاشعرى ( 260 – 324 هجرية / 874 – 936 م ) كان معتليا ثم راجع الاصول الخمسة للاعتزال – وقاضى القضاة عبد الجبار بن احمد الهمدانى ( 415 هجرية – 1924 م ) اصبح فيلسوف المعتزلة بعد ان كان من خصوم المعتزلة**

**وفى جيل طه حسين النصف الاول من القرن العشرين راجعت كوكبة من كبار المفطرين مذاهب التغريب والعلمانية والفرعونية واصبحوا اعلاما وكلائع لليقظة الاسلامية والإحياء الخضارى للأمة بالإسلام ومن هؤلاء الاعلام : منصور فهمى باشا ( 1303 – 1379 هجرية – 1886 – 1959 م ) والاستاذ العقاد ( 1306 – 1384 هجرية / 1889 1964 ) والدكتور محمد حسنين هيكل باشا ( 1305 – 1376 هجريه / 1888 – 1956 م ) والاستاذ خالد محمد خالد ( 1339 – 1416 هجرية - 1920 – 1996 م ) وغيرهم كثيرون**

**وفيما يتعلق بالدكتور طه حسين فلقد أفردنا لإيابه الفكرى من التغريب إلى الاسلام – كتابنا ( طه حسين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام ) وفيه تتبعنا تفاصيل رحلته المتعرجة والشاقة والطويلة والعريضة والعميقة التى انتهت به إلى إعلان الإياب الروحى إلى الإسلام فى رحلته الحجازية سنة 1955 م عندما تحدث فى الحرم المكى عن هذه الرحلة فوصفها " بأنها تلبية لدعوة آمره من خارج النفس عادت فيها النفس الغربية إلى وطنهابعد غربة غريبة طويلة جدا وهى مدركة لما بين الله وبينها من حساب عسير وراجية من الله ان يجعل من عسره بسرا**

**وبعد اربع سنوات من هذا الإياب الروحى فى الرحلة الحجازية أصدر طه حسين كتاب مراجعاته الفكرية كتاب ( مرآة الإسلام ) الذى راجع فيه كل كتاباته التى أثارت الجدل وفجرت المعارك الفكريه الكبرى فى النصف الاول من القرن العشرين ففى هذا الكتاب :**

* **يكشف طه حسين عن ألوان من إعجاز النظم القرآنى لعله لم يسبق إليها**

**وفيه رفض قاطع للغرور العقلانى الذى طغى على فكره فى مرحلة الانبهار بالغرب ومناهج الشك الغربية**

**وفيه رفض للتأويل الباطنى وتأويلات التصوف الإشراقى لآيات القرآن الكريم فلقد رغض فى هذا الكتاب تاويل الآيات المتشابهات حتى من قبل الراسخين فى العلم إذ لا يعلم تأويله إلا الله**

**وهو فى هذا الكتاب ناقد للفلسفة والفلاسفة ولإقحام الفلسفة فى الدين هذا الإقحام الذى قاد " المعتزلة إلى مذهبهم فى نفس الصفات وظنهم أن العقل يستطيع معرفة كل شىء وحتى معرفة الذات والصفات "**

**وهو فى هذا الكتاب يكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة الثمانين مرة**

**وفيه تتميز وتمتاز نظرات طه حسين فى القرآن الكريم فعندما يسوق شواهده فى المشركين واليهود والنصارى يتمنى القارىء لو أن الفرصة قد سنحت لطه حسين كى يفسر القرآن الكريم إذن لأضيف إلى المكتبة القرآنية تفسير متميز وممتاز**

**وفيه تجلت العلاقة الحميمة بين طه حسين والاسلام مؤسسة على العقل والنقل والوجدان**

**وفيه نقد لأبى العلاء المعرى وغروره العقلانى " وشكه السخيف |**

**وذلك علاوة على ما فيه من نقد ذاتى لما سبق وأورده طه حسين فى كتاب ( مستقبل الثقافة فى مصر )**

**وفى هذا الكتاب تخلص اسلوب طه حسين من التكرار الذى كان يعيبه عليه كثيرون وإذا أردنا فى إشارات موجزة أن نضرب بعض الامثال على ما فى هذا الكتاب ( مرآة الإسلام ) من مراجعات فكرية فإننا نشير على سبيل المثال إلى**

**أ – ما جاء فيه من نقض لما سبق أن ذكره طه حسين ( فى الشعر الجاهلى ) وذلك عند تفسير قوله تعالى : (**

**ففى هذا التفسير يقول طه حسين " فالله يثبت فى هذه الايات دعاء ابراهيم واسماعيل أثناء رفعهما القواعد من البيت أن يجعلهما الله مسلمين له وأن يجعل من ذريتهما امة مسلمة له وان يبعث فى هذه الامة رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة فإبراهيم إذن هو الذى سمى المؤمنين مسلمين وهو أبوهم وقد كان مسلما ففى كتاب ( فى الشعر الجاهلى ) كان طه حسين يعتبر هذه العقائد ألوانا من الحيل والاساطير**

**ب – وبعد الانبهار بالفلسفة اليونانية فى قادة الفكر واعتبارها " أشد ممن الدهر قدرة على البقاء " نقرأ نقده فلسفة المسلمين الذين ساروا فى الغلو العقلانى سيرة الفلسفة اليونانية فيقول**

**" ولم يلبث المسلمون أن عرفوا ألوانا من الثقافات الاجنبية والثقافة اليونانية خاصة والفلسفة اليونانية على وجه أخص فتأثروا بهذا كله واتخذوه وسيلة إلى الدفاع عن دينهم كما فعل النصارى واليهود ثم مضوا الى ابعد من ذلك فآمنوا بالعقل وحكموه فى كل شىء وزعموا أنه وحده مصدر المعرفة وأنه هو الذى يحسّن ويفبّح من أعمال الناس حسنها وقبيحها وأنه يستطيع ان يعرف الله وان يعرفه بقوته سواء جاءته الانبياء الهداة الى الله او لو لم يجيئوا وقد غرهم إيمانهم بالعقل فدفعهم الى شطط بعيد ولم يخطر لهم ان العقل الانسانى ملكة من ملكات الانسان وان هذه الملكة كغيرها من ملكات الاتسان محدودة القوة تستطيع ان تعرف اشياء وتقصر عن معرفة اشياء لم تهيأ لمعرفتها وهذا هو الذى فتح عليهم ابواب هذا الاختلاف الذى لا ينقصنى وجعلهم فرقا نيفت على السبعين لقد تورطوا فى اشياء أساغتها عقولهم ولا تستطيع عقولنا نحن ان تسيغها ولسنا فى حاجة اليها لنحسن الايمان بالله والعلم بقدرته وبما وصف نفسه به من الصفات لاننا قد عرفنا ان العقل الانسانى ليس من القوة والنفوذ بحيث ظن فلاسفة اليونان ومن تبعهم من كتفاسفى النصارى واليهود والمسلمين**

**ج – وبعد ان كان يقول ( فى الشعر الجاهلى ) " إنه من أنصار الجديد الذين خلق الله لهم عقولا تجد من الشك لذة وفى القلق والاضطراب رضا " أصبح ناقدا للغلو العقلانى عند المعتزلة " فلقد تجاوزت المعتزلة ما ألف الصالحون من القصد فأغرقوا فى تحكيم العقل فيما لا يستطيع العقل أن يحكم فيه "**

**د – وبعد ان عرض سنة 1914 م فى ( تجديد ذكرى أبى العلاء ) مذهب المعرى الذى لا يزمن إلا بالعقل وإن تردد فيه فتردده إنما يكون بين ( العقل ) وبين ( الشك ) فقال**

**|" والوقع أن أبا العلاء لم يتخذ لنظره الفلسفى مذهب أهل السنة ولا مذهب السوفسطانية وأصحاب الشك ولا مذهب المعتزلة أيضا ذلك أنه لا يؤمن إلا بالغقل وحده فخالف بهذا أهل السنة لأنهم يقدمون الشرع غبى العقل وإن آمنوا به وخالف مذهب المعتزلة لأنهم على تقديمهم للعقل يتخذون الشرع لنظرهم أصلا ودليلا ويعتزون به ويلجئون اليه وخالف مذهب السوفسطانية لانهم يتهمون العقل فلا يؤمنون به ولا يعتمدون عليه**

**وإذن فهو يرى رأى الفلاسفة النظريين من اليونان والمسلمين فى الاعتماد على العقل خاصة لقد قال فى الرد على الباطنية**

**يرتجى الناس أن يقفوم إمام ناطق فى الكتيبة الخرساء**

**كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيرا فى صبحه والمساء**

**فإذا ما فعلته جلب الرحمة عند المسير والارساء**

**وقال :**

**ساتبع من يدعو إلى الخير جاهدا وأرحل عنها ما إمامى سوى العقل**

**فهذا الحصر تصريح بأن الرجل لا يأتم إلا بعقله على أنه لم يستطع أن ينتحل للعقل العصمة ولا أن يزعم قدرته على الايصال إلى اليقين المطلق بل حفظ للشك حقه فى الدخول على ما اثبته العقل على أنه لا يعمم الشك إلا فى مسائل الغيب فأما عالم الشهادة فلا يبسط ابو العلاء الشك عليه فلم يكن من اهل الشك ولا من الذين يتخذون الشرع لهم اماما وانما هو من الذين لا يثقون الا بالعقل فإذا وثقوا به فلا يستسلمون إليه**

**بعد هذا الذى عرضه سنة 1914 م رأيناه فى ( مرآة الاسلام ) ينتقد هذا الغلو العقلانى عند ابى العلاء فيقول : " انظر الى رجل حكيم كأبى العلاء كيف غره الايمان بالعقل فظن انه الامام ولا إمام غيرع وأنه وحده يهدى الناس فى المسيرة والارساء وكيف انتهى به إيمانه بالعقل إلى مقالة لا يسيغها الدين ولا يقرها الاسلام فى قوله :**

**قلتم لنا خالق حكيم ثلنا صدقتم كذا نقول**

**زعمتموه بلا مكان ولا زمان الا فقولوا**

**هذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول**

**فعقله لم يستطع ان يتصور الخالق فى غير زمان ولا مكان فاضطره ذلك الى ان يصف الخالق الحكيم بما يصف به سائر المخلوقات من الخضوع للزمان والمكان وهذا سخف لا يقول به مؤمن**

**وكل هذا وامثاله عند ابى العلاء وغيره من الذين غرهم العقل فأسرفوا فى الايمان به ةحكموه فيما لا يستطيع ان يحكم فيه لا يبدل الا على الحيرة والعجز والقصور عن بلوغ الحقيقة التى حاولوا ان يبلغوها "**

**ه – ورأيناه بعد ان كان يقول ان الناس مندفعون الى العلم والمعارف الحديثة دون ان يعبئوا بالتوفيق بينها وبين العقائد يرفض التاويل والغلو العقلانى ويرى ان الدين مطلق بينما العلم محدود ويسفه الغلو الباطنى القائم على الاغراق والاغراب فى التأويل فيقول :**

**وما أحب أن أعرض لتأويل هذه الطير الابابيل التى رمت الحبشة بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول لأنى أوثر دائما أن أقبل النص وأفهمه كما فهمه المسلمون الاولون حين تلاه عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فهؤلاء الذين يزعمون أن الطير الابابيل إنما كانت وباء من الاوبئة وكانت الحجارة ضربا من الميكروبات إنما يقولون هذا من عند أنفسهم وهم يعلمون حق العلم أن النبى وأصحابه لم يفهموا هذه السورة على هذا النحو وما كان لهم أن يفهموها على هذا النحو فهم لم يكونوا يعرفون الميكروب وما كان لهم أن يعرفوه وكذلك الذين يقولون إن السماوات السبع التى تذكر فى القرآن هى الكواكب السيارة إنما يرجمون باغيب ويقولون مالم يقله النبى واصحابه ومصدر هذا انهم يريدون أن يلائمةا بين القرآن ومستكشفات العلم الحديث فيضطرهم ذلك إلى تكليف النصوص من التأويل ما تحتمل وليس على الذين يأس أن يلائم العلم الحديث أو لا يلائمه فالدين من علم الله الذى لا حد له والعلم الحديث كالعلم القديم محدود بطاقة العقل الانسانى وبهذا العالم الذى يعيش الانسان فيه ومن أسخف السخف ان نحاول الملاءمة بين ما لاحد له وما هو محدود بطبعه وصدق الله حين أنبأ بأن الراسخين فى العلم يقولون ( ان كل الذين حاولوا ان يعرفوا الله بعقولهم معرفة دقيقة لم يكتفوا بما اكتفى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رحمهم الله من قبول نص القرآن وفهمه فى يسر وإسماح وفى غير تكلف ولا إسراف فى التأويل والله عز وجل ينبئنا فى القرآن أنه أنزل الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات وبأن الذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله مع أن العلم بتأويله موقوف على الله عز وجل وبأن الراسخين فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وذلك فى قولهعز وجل فى سورة آل عمران (**

**وهذه هى المقالة التى يجب على كل مؤمن أن يقول بها ويتخذها دينا ولست أدرى أيصل العقل إلى أن يبلغ ما لم يبلغه الان من لبوة أم لا ولكن الشىء المحقق هو أن عقل الفدماء وعقل المحدثين من اصحاب الفلسفة والعلم لايزال أضعف وأقصر باعا من أن يصلا إلى استكشاف حقيقة الله أو البحث عن صفاته وإصدار هذه الاحكام التى أصدرها الفلاسفة والمتكلمون اغترارا بالعقل واستجابة لما لا تنبغى الاستجابة له ومن أجل هذا أقول : إن المؤولين من المحدثين كالمؤولين من القدماء قد استجابوا لعقولهم القاصرة واغتروا بها وقالوا فيما ليس لهم أن يقولوا فيه وطمعوا فيما ليس لهم أن يطعموا فيه ولو قد تواضع أولئك وهؤلاء ووقفوا أنفسهم حيث تنتهى بهم قوتهم لكان خيرا لهم وللذين افتتنوا بهم من الناس**

**وشر آخر ملأ حياة المسلمين فسادا أى فساد وهو الغلو فى التأويل إلى أبعد ما يتصور العقل وإلى غير ما يفهم صراحة من نصوص القرآن كهؤلاء الباطنية الذين زعموا أن العلم بالدين علمان : علم ظاهر وهو ما عليه الناس فى كثرتهم وعلم الباطن وهو ما هم عليه وحعلوا يتركون ظاهر النص لأنه لا يليق إلا بعامة الناس ولا يلائم خاصتهم ثم يلتمسون للنص تأويلا يخالف كل المخالفة ما يفهم منه لغة وما فهمته جماعة المسلمين حين سمعوا النبى يتلوعليهم القراآ، ويبين لهم ما أنزل عليهم وغلوا فى ذلك كل الغلو حتى أحدثوا لأنفسهم دينا لا يدين به غيرهم من المسلمين فأفسدوا الدين والعقل معا**

**هكذا اتخذ طه حسين من التأويل هذا الموقف المحافظ الذى يستغربه به أولئك الذين لم يدركوا هذا التطور الفكرى الذى اخرزه الرجل فى العديد من الميادين**

**و – وغير النقد الشديد للتأويل الباطنى للنصوص القرآنية الذى أخرج أصحابه عن الدين والذى أفسد الدين والعقل معا رأينا طه حسين ينتقد الصوف الباطنى ومذاهب الإشراق ووحدة الوجود فيقول :**

**" ولم يلبث التصوف أن تأثر بما عرف المسلمون من ثقافة الهند والفرس ومن ثقافة اليونان خاصة وتحول الزهد من تفرغ للعبادة وإمعان فيها إلى محاولة الاتحاد بالله أو الاتصال به أو معرفته من طريق الإشراق ثم اختلط التصوف بمذاهب الباطنية فازداد تعقيدا إلى تعقيد**

**ز – وبعد أن كان يقول : إن الحكم إنما يقوم على " المنافع " لا على " الدين ولا على اللغة " وأننا يجب أن نسير فى هذا الحكم سيرة الاوربيين الاحانب رأيناه يرفض " هذا الشر العظيم الذى جاء به الاجانب ويدعو إلى إقامة الحكم على ما جاء به الدين واللغة العربية ويفضل النموذج الاسلامى فى الفقه على نظيره الرومانى فيقول " ولم يلبث الامر أن صار إلى شر عظيم حين غلبت العناصر الاحنبية على شئون الحكم فأقامت هذه الشئون على المنافع غير حافلة بما يأمر به الله من العدل والإنصاف والمساواة والشعور المتصل بهذه الرقابة الرهيبة التى فرضها الله على الناس ثم لم يكشف الحكام الاجانب بهذا كله ولكنهمجهلوا اللغة العربية فلم يقدروها قدرها ولم يلتفتوا إلى أنها لغة القرآن والسنة والثقافة**

**ومن اجل هذا كله غاضت تلك الينابيع الغزيرة التى كانت تمد عقول الفقهاء بهذا الإنتاج الخصب الرائع الذى لانعرف أنه أتيح لأمة قديمة قبل الامة الاسلامية حتى الامة الرومانية التى برعت فى الفقه وتعمقه**

**ح – وبعد أن كان مع الوطنية المصرية المجردة من العروبة والاسلام ثم مع الفرعونية الرافضة للعروبة والوحدة أو حتى الاتحاد مع العرب رأيناه يتحدث عن الوحدة الاسلامية وليس فقط الوحدة العربية وعن أن القرآن الكريم هو صانع الوحدة الاسلامية والعربية قديما وحديثا ومستقبلا فيقول " وإذا كان هناك الان وحدة اسلامية عامة أو شىء يشبه هذه الوحدة فبفضل القرآن وجدت وبفضل القرآن ستبقى مهما تختلف الظروف وتدلهم الخطوب وإذا كانت هناك وحدة يحاول لعرب أن يعودوا إليها ويقيموا عليها أمرهم فى الحياة الحديقة كما قامت عليها حياتهم القديمة فالقرآن هو أساس هذه الوحدة الجديدة كما كان للوحدة القديمة "**

**وبعد الإعراض عن التجديد الاسلامى ونقد مذهب الأفغانى ومحمد عبده فى الإحياء والإصلاح والدعوة يدلا من ذلك للسير وراء النموذج الغربى رأيناه يشيد بالمجددين المسلمين مثل الافغانى ومحمد عبد وعلماء التنوير الاسلامى فيقول :**

**" ولقد أتيخ للمسلمين لحسن حظهم أفراد من العلماء فى عصور مختلفة لم يجحدوا التقليد جملة وإنما حاولوا أن يعملوا عقولهم ويثبتوا شخصيتهم وينشروا النور من حولهم وينظروا من علم القدماء فيما أعرض الناس عن النظر فيه**

**وكان هؤلاء العلماء يجدون نفورا منهم وإعراضا عنهم وربما وجدوا تشهيرا بهم ومقاومة لهم وربما أصابهم أذى يكثر أو يقل بلأعتبار الظروف التى تحيط بهم وتحيط بالناس من حولهم**

**ى – ةبعد كتاب ( مستقبل الثقافه فى مصر ) والدعوة إلى أن نسير سيرة الاوربيين فى الادارة والحكم والتشريع أعلن طه حسين أن القرآن دين وشرع وأن مصادر التشريع هى : القرآن والسنة والاجماع والاجتهاد فقال " إن القرآن يشرع للمسلمين ما ينفعهم فى الدنيا ويعصمهم من عذاب الاخرة إن استمسكوا به وأنفذوه على زجهه فيشرع لهم من امر الزواج والطلاق والميراث والوصية والبيع والشراء وغير ذلك كا تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وحياتهم الفردية أيضا فكل ما يعرض للمسلمين من الامر فى حياتهم من المشكلات يجب عليهم أن يردوه إلى الله ورسوله يلتمسون له الحل فى القرآن فلم يوجد والتمس فى السنة فلم يوجد فالمسلمون يرجعون إلى أصل ثالث من أصول الحكم فى الدين وهو إجماع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فإن لم يجد المسلمون فى القرآن ولا فى السنة ولا فيما أجمع عليه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حلا لبعض مشكلاتهم فعليهم أن يجتهدوا رأيهم ناصجين لله ورسوله وللمسلمين "**

**هكذا تحدث طه حسين عن مصادر التشريع والحكم والسياسة فى الدولة الاسلامية ففصل سنة 1959 م ما سبق أن اجمله سنة 1953 فى لجنة وضع الدستور ولم تكن صدفة أن ذلك العام 1953 م كان العام الذى حن فيه طه حسين لزيارة مكة والمدينة تلك الزيارة التى آب فيها الغريب إلى الوطن الذى صنع عقله وقلبه ووجدانه وعواطغه كلها فولد فى هذه الرحلة الحجازية ميلادا جديدا**

**هكذا حدث التحول الحاسم لطه حسين مئة وثمانيندرجة فبعد أن كانت طريق النهضة هى وحدها طريق النموذج العربى لا تعدد فيها ولا عدول عنها اصبحت الطريق أن يثوب المسلمون إلى أنفسهم ويُحيُةا تراثهم القديم مضيفين إليه العلم الحديث مع التحذير من " العلم الاستعمارى " الذى يقطع ما بين المسلمينوتاريخهم والذى يفنيهم والامم المستعمرة إفناء أى اصبحت( الاسلامية ) هى طريق اليقظة والنهوض وفى ذلك قال طه حسين**

**" إننى ألح على أن يثوب المسلمون إلى أنفسهم ليصبحوا أكفاء لقدمائهم من جهة وأندادا للذين يحاولون أن يستذلوهم من جهة اخرى فالمستعمرون فى العصر الحديث يوشكون أن يفرضوا على المسلمين ضروبا من العلم قد تخرجهم من الجهل ولكنها ستقطع الاسباب حتما بينهم وبين تاريخهم وتفنيهم فى الامم المستعمرة إفناء وسبل المسلمين إلى هذه اليقظة الخصبة واحدة لا ثانية لها وهى أن يذكروا ما نسوا من تراثهم القديم لا ليقولوا إنهم يذكرونه بل ليعرفوه حق معرفته ويفقهوه جد الفقه ويحسن المتخصصون منهم العلم بدقائقه وتيسيره لغير المتخصصين**

**هذه واحدة والثانية أن يستدركوا ما فاتهم من العلم الحديث ويبتغوا إليه الوسائل التى تتيح لهم أن يتحققوه كما تحققه أصحابه وأن يوطنوه فى بلادهم ويجعلوه ملكا لهم وأن يبذلوا من الجهد ما يمكنهم فى يوم قريب من ألا يكونوا عيالا على المستأئرين به بل يشاركون فيه مشاركة الانداد الاكفاء وهذا الرقى متصل بالاسلام وحده فالقرآن وسنة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين من المسلمين وعلم العلماء المسلمين الذى سُجُل فى الكتب والذى لم ينشر إلا قليله كل هذا مطلوب العلم بحقائقه وأن يتجاوز هذا العلم العقةل الأفهام إلى القلوب والامزجة ويؤثر فى الضمائر أعمق التأثير ويؤثر فى السيرة الظاهرة للمسلمين أعمق التأثير ايضا**